



العدد الثاني (١٩٨١)



## النور العجيب

جورج عنان

كيف كان ذلك؟ إليكم العلامة الثالثة.

\*\*\*

فجبران وقد العزى ذلك النور العجيب، وساح بعيداً في زمنه وفي ثقافة عصره، ورؤى نفسه لتأريخ السحر، واشتغل طموحاً، وطار بجنون قوئين ليستشرف غرائب المشاهدة... ذلك كله منكّه ليكون راقداً في أكثر من جانب من جوانب الكلمة.

كان رائد قصيدة النثر في الأدب العربي جميعه. تشر هنا، بوجه خاص، الـ «مقدمات» و«النبي» ونهاياته وبعض مقاطع اختلاله، والـ «مختارات» غير قليلة وردت في «المجنون» و«العواصف»...

وكان رائد القصة الابداعية في الأدب العربي. قبل «الأجنحة المتكسرة» لم تعرف الـ القصة الفنية المتكسرة.

قول: اليوم نخطيناها، ميروك.

وكان ثورة جامعة على اللغة العربية التي تمجرت وتسلّمت وتلهى معظمها بلاغات وبيانات جوفاء، وغدت موبوءة، حتى جاء الشاعر ونفيخ في رماحها فخالقت، ولانت جلورها وسرّت في ظلمة التراب، واملأت خصونها موزقة مزهرة، وكثر هيء والضوء والاختراع، وغدت اللغة الجديدة في اللغة العتيقة. وأفلت في أجنحتها مركبة الخيال، فسهلت وجسجت، وحوّلتها وعلقها مواكب ومهرجانات تتأيل ألوانه في الفضاء.

وبعد هذا، كان جبران صاحب «النبي».

\*\*\*

نعم، إن جبران رائد وعبقري.

تكتب اليوم شعراً أو قصة أروع من شعره وأعدت من قصصه...

ترحب بك لأنك ابنه أو حليده. لكننا بعد لم نكتب أعظم من «نبيه».



تستوقني عند جبران علامات مشتملة، قد تكون هي أبرز ما يُزال عليه هذا السحر وتلك الجاذبية.

أذكر بعض العلامات

وأولها سيرته أو محيط حياته.

فقد صدق أن تخنن جبران فجعل من ذاته ومن حوالبه نوراً وضياءً، فصار وكأنه يات في الرؤيا، يتجلّى ثم يستتر، ثم يعود يتجلّى. يتداخل في الأزمنة نواكبه وجوه وأصوات. يقف على عتوطة الأقاليم ويشاهد، وكثيرون وراءه لا يشاهدون.

لقد أحبه كثيراً واشتاق كثيراً وقلق، ثم مات وقام، وغيره ينتظرون.

وأست سيرته وكلمته تؤمنين

وأسمى كلّ أدبٍ ينشئ، لو يصدف، وتكون سيرته شبيهة بسيرة جبران.

\*\*\*

علامة ثانية، وقد اختلفت حوالب الآراء. فهل جبران أدب كبير، شاعر كبير،

فيلسوف؟... كلُّ منا يُبدل بدلوه.

قال يقول: ليه لم يكتب «المواكب»، انها تركيب ضعيف.

وآخر يسأل: وهل «الأجنحة المتكسرة» قصة تقدمت زمنها؟ كم نظراً اليوم أمجد منها وأمن، وأسمى صياغة، وأكثر تقنية وأبعد نورا في الزمان؟

وثالث وآخرون يتساءلون...

قول: من الأفضل لنا وجبران أن نُقصي عنه التعت والكبر والفضم والملاق. قول فقط: انه سابق وبتفوق.